

! مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ودير الشهيدة دميانة



# ابراهيم أب الآباء

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

الكتاب: ابراهيم أب الآباء

المؤلف: الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى

الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة

الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانة

الطبعة: الأولى يوليو ٢٠١١ م

المطبعة: بريما جرافيك للطباعة والتوريدات ٠٢٢٦٣٧٣١٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب:

يطلب من دير القديسة دميانة بالبرارى، تليفونات رقم:

٠٢٨٨٠٠٠٧، (٠٥٠)٢٨٨٠٠٣٤، (٠٥٠)٢٨٨٠٢١٨

٠٢٨٨١١٤١، (٠٥٠)٢٨٨٠٦٧٩، (٠٥٠)٢٨٨٠٧٦٣

(٠١٨)٨٨٨١٣٣٩، (٠١٨)٤١١١١٣٥

فاكس : (٠٥٠)٢٨٨٠٠٠٨ مع تسجيل رسائل.

email: demiana@demiana.org

بريد إلكترونى

email: demiana8@demiana.org

يطلب أيضاً من :

مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤ (٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠ (٠٢)

ومقر الدير بالاسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩ (٠٣)

مقدمة

كان الآباء فى العهد القديم ينتظرون المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله، وبيتغون وطنًا أفضل أى سماويًا... وإبراهيم هو أب الإيمان، هو رجل الإيمان الجماهيرى الأول فى تاريخ البشرية، هو أب تلك العائلة المقدسة التى دعاها الله لكى يجعلها شعبًا خاصًا له بصفة مرحلية لكى تتسع بعد ذلك وتصير عائلة الإيمان. ونستطيع أن نقول إن إبراهيم يمثل بداية متميزة من بدايات علاقة الإنسان مع وعود الله.

إن الكتاب المقدس بلباقة عجيبة جدًا وبحكمة إلهية سامية، يرسم حياة الإنسان من خلال هذه الشخصية العظيمة. من البداية الأولى لذلك الشعب الخاص خطوة خطوة، وتقطع البشرية مسيرة الخلاص مع الله، بنفس الصورة التى تقطعها كل نفس تؤمن بالمسيح.

وبهذا نفهم أن كل ما حدث فى حياة الجنس البشرى هو عملية تخطيط وتهيئة وإبراز للمعالم بالنسبة لمسيرة كل نفس بشرية، وكأن كل واحد منا ممكن أن يعتبر نفسه هو قصة البشرية كلها.

عندما خرج إبراهيم من أور الكلدانيين، خرج وهو يرى أمام عينيه مدينة أخرى صانعها هو الله، تجتذبه أشواق تختلف عن أشواق حب الذهب والفضة والعالم... تجتذبه أشواق من نوع آخر. ربما يتعجب البعض كيف يكون إبراهيم فى هذه الحالة وهو خارج من أور الكلدانيين.. فَمَنْ كان يستطيع فى العهد القديم أن يفكر بهذا الأسلوب!!؟ هذا الرجل المختر بدأت حياته بالخروج مع الله، مثلاً لكل من يريد أن يدخل مع الله إلى حياة أبدية.

إن أعظم القديسين عاشوا حياتهم كلها على الأرض وهم مغمورون بالتأمل فى هذه الأمور، وقد شعروا أن الحياة على الأرض لا تكفى، فخرجوا لى يكملوا فى الأبدية، ليزدادوا شكرًا لله على عظم صنيعة معهم، ويسبحونه إلى أبد الدهور على هذا الخلاص الذى لا يُعبَّر عنه. حتى وإن كانت كل الطغمت الملائكية والطبائع العقلية تمجد الله كما يقول عنهم القديس غريغوريوس الثيولوجوس -أى الناطق بالإلهيات- فى صلاة القداس {يرسلون تسبيح الغلبة والخلاص الذى لنا}.

إن حياة إبراهيم تعتبر مدرسة فى الإيمان بمراحله، وكيف  
ينمو فى علاقة الإنسان مع الإله الحقيقى. لذلك نسأل الرب  
أن يجعل من هذا الكتاب سبب منفعة لكثيرين بصلوات أبينا  
المبارك صاحب القداسة البابا شنوده الثالث أطال الرب  
حياته وأدام رعايته.

بشوكا

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى  
ورئيس دير القديسة دميانة

عيد الرسل  
١٢ يوليه ٢٠١١م

فى ما بين النهرين

اسم أبرام يعنى الأب الرفيع أو الأب المكرم. وقد دعاه الله فيما بعد باسم إبراهيم أى أب جمهور.. ولد إبراهيم فى العراق، فى الشمال، منطقة تسمى ما بين النهرين أى بين نهري دجله والفرات. واسمها باليونانى **Mesopotami,a** (ميسوبوتاميا) وهذه المنطقة هى جزء من الهلال الأخضر الخصيب المشهور فى منطقة الشرق الأوسط.

وهذا أوضحه القديس استفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء فى حديثه مع اليهود الذى سُجل فى سفر أعمال الرسل، أن الأمر الذى صدر لإبراهيم لم يكن وهو فى حاران ولكنه كان فى أور الكلدانيين، فيقول:

"ظَهَرَ إِلَهُ الْمَجْدِ لِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ وَقَالَ لَهُ: أَخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَهَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَخَرَجَ حِينئِذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ. وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ بَعْدَ مَا مَاتَ أَبُوهُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ الْآنَ سَاكِنُونَ فِيهَا" (أع ٧: ٢-٤).

الخروج من أور الكلدانيين



إذن عندما خرجوا من أور الكلدانيين إلى حاران لم يكن تارح هو الذى اتخذ هذا القرار، ولم يأمر الرب تارح، لكن كان الأمر لإبراهيم ابنه، لذلك يقول الكتاب: وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ بَعْدَ مَا مَاتَ أَبُوهُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ" (أع ٧: ٤).

وللأسف كان كل أقارب إبراهيم تقريباً يعبدون الأصنام. وكان إبراهيم يرى حالة الشر الموجودة فى العالم.

أقروا بأنهم غرباء

ربما يتساءل البعض: لماذا أمر الرب إبراهيم أن يترك أرضه الأصلية، وحياته وسط أهله وعشيرته؟ لماذا يخرج إبراهيم من بين أهله، خاصة إن كان سيذهب إلى بلاد هى أيضاً تعبد الأصنام؟! ففى نزوله إلى مصر، وجد عبادة وثنية؛ وإن كانت زيارته لمصر كانت سريعة. وعندما ذهب إلى أرض كنعان كان الساكنون هناك يعبدون الأصنام!!

فهو إن كان قد خرج من أرض تعبد الأصنام إلى أرض فيها عبادة أصنام أيضاً.. لكن هناك فرقاً كبيراً، فإن كان أهله يعبدون الأصنام، لكن فى خروجه من وسطهم إلى مكان



آخر سوف يكون غريباً، وهذه الغربة تضع فاصلاً وعازلاً بينه وبين أهل العالم.

من أجل ذلك قال السيد المسيح لتلاميذه "لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ" (يو ١٥ : ١٩). وقال الكتاب عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هُوَ لِأَنَّ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقْرَبُوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ" (عب ١١ : ١٣).

بين بابل وأورشليم

لقد أمر الرب إبراهيم أن يخرج من أور الكلدانيين أى يخرج من حضارة مملكة بابل. بابل حيث البرج الذى أراد بنو البشر أن يبنوه حتى إذا جاء طوفان مرة أخرى لا تصل إليهم المياه!! وهذا نوع من التحدى لله... وقتها قال الرب: "هُوَ ذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ وَهَذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالْآنَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبْلِسْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ. فَبَدَّدَهُمْ



تأملات روحية في شخصيات من العهد القديم

الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ  
الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ  
المَدِينَةِ لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا

"بَابِلَ" لِأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلُ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ  
بَدَدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (تك ١١ : ٦-٩).

حضارة بابل تحمل ذكرى كبرياء الإنسان وتحديه لله، ولذلك  
في بابل بلبل الرب ألسنة بنى البشر، بينما في أورشليم في  
يوم الخمسين بعد إتمام الفداء أعطى الله لبني البشر أن  
يتكلموا بألسنة جديدة؛ "وَأَمْتَلَأُ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ  
وَأَبْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا"  
(أع ٢: ٤)، وكل شعوب الأرض الذين اجتمعوا في أورشليم  
سمعوا كل واحد من الرسل يتكلم بلغته التي وُلد فيها..

هكذا بينما كانت ذكريات بابل تمثل الكبرياء والتحدى لله،  
كانت أورشليم تمثل الموضع الذي اختاره الرب لكي يجمع  
أبناء الله المتفرقين إلى واحد.

بابل وتحدى الله

بابل تمثل الإنسان الذى يبنى برجاً رأسه فى السماء  
 "وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلُمَّ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسَهُ  
 بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لِأَنْفُسِنَا اسْمًا لِيَلَّا نَتَّبَدَّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ  
 الْأَرْضِ" (تك ١١ : ٣ ، ٤) ... بابل تمثل الإنسان الذى يريد أن  
 يضع رأسه فى السماء، بينما يقول يوحنا الرأى عن أورشليم  
 الجديدة: "رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنْ  
 السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّأَةً كَعَرْوَسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرِجْلِهَا" (رؤ ٢١ :  
 ٢).

بابل مدينة رأسها فى السماء.. وأورشليم مدينة نازلة من  
 السماء. ما الفرق بين الاثنين؟ الفرق هو إنه عندما يتكبر  
 الإنسان يحاول أن يضع رأسه برأس الله، بينما الإنسان  
 المتواضع يأتى الله بنفسه إلى حيث هو.. كما يقول الكتاب:  
 "وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ  
 مِنَ الْآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو ١ : ١٤).

هناك فرق بين الإنسان عندما أراد أن يصير إلهًا، وبين الله  
 الكلمة عندما أخلى ذاته ووُجد فى الهيئة كإنسان..

هناك فرق بين آدم عندما أراد أن يصير مثل الله حسب مشورة إبليس عندما قال لحواء يوم تاكلان من الشجرة تصيران مثل الله، وبين ما قاله الكتاب إن السيد المسيح إذ كان فى صورة الله أخلى ذاته آخذاً صورة عبد "وَأذُ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (فى ٢ : ٨ ، ٩).

هناك فرق بين إنسان يرفع نفسه فى كبرياء، وآخر يرفعه الله ويمجده فى ملكوت السماوات كما يقول السيد المسيح "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الْأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ.." (مت ١٣ : ٤٣).  
اخرج من بابل

قال الرب لإبراهيم: أنا لا أريدك أن تسكن فى هذا المكان، اخرج من هذه الأرض، اخرج من وسط هؤلاء المتكبرين "لأنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (ابطه ٥ : ٥). اخرج يا إبراهيم "فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ وَتَكُونُ بَرَكَهً. وَأُبَارِكَ مُبَارِكِيكَ وَلَا عِنَاكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ" (تك ١٢ : ٢ ، ٣).

وقال له الرب: يا إبراهيم إن كان أجدادك قد بنوا برج بابل لكى يتحدونى، فأنا سوف أبني برجًا آخر، لكن هناك فرق بين برج بينيه الإنسان لكى يتحدى الله، وبين برج الإيمان والفضائل الروحية وبرج النعمة والكرامة والعظمة التى يعطيها الله للإنسان عندما يحب أن يكرمه، لأنه قال "فَأِنِّي أَكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي، وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونَنِي يَصْغُرُونَ" (اصم ٢: ٣٠). من أجل ذلك قال السيد المسيح: "فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ" (مت ٢٣: ١٢). هناك إنسان يرتفع إلى أسفل، وهناك إنسان ينخفض إلى فوق!!..

لم يكن ممكنًا أبدًا أن يدخل الله مع إبراهيم فى عهدٍ، أو يكون علاقته مع شعبه فى منطقة برج بابل.. لا يمكن. لابد أن نغلق تلك الصفحة القديمة المزرية، لابد أن ندفن تلك الذكريات القديمة.

كما يقول المزمور: "يَا بِنْتَ بَابِلَ الشَّقِيَّةَ طُوبَى لِمَنْ يُكَافِئُكَ مُكَافَأَتِكَ الَّتِي جَارَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ" (مز ١٣٦: ٨، ٩). بنت بابل الشقية التى هى خطية الكبرياء ولها أولاد كثيرون، فهى خطية أم، فالإنسان

المتكبر يكون قاسياً، الإنسان المتكبر يكون غضوباً، ويسقط في أخطاء كثيرة لأن الكتاب يقول: "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السَّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم ١٦ : ١٨).

من الكبرياء إلى الإلتضاع  
قال الرب لإبراهيم: أنا أريدك أن تخرج من وسط حضارة الكبرياء، لكي تسلك في حضارة الإلتضاع، لا أريدك أن تعيش في وسط هذه المدن والمباني.. لا أريدك أن تعيش في وسط القصور لكن في الجحور.. مع أولئك الذين كُتِبَ عنهم: "تَأْهِينَ فِي بَرَارِيٍّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الْأَرْضِ" (عب ١١ : ٣٨). لا أريدك أن تعيش في مكان ثابت على الأرض، أريدك ألا تعيش في مدينة، ما رأيك؟



أريدك أن تعيش في خيمة..  
خيمة ليس لها مكان ثابت،  
ترتحل ارتحالاً في هذا العالم..  
أنا أريدك يا إبراهيم أن تعيش  
غريباً على الأرض، وإذا عشت  
غريباً على الأرض، أنا سوف

أبنى لك مدينة سمائية.

أنتظر هذه المباني العظيمة التي في بابل؟ أنتظر هذه القصور الشاهقة وهذه التماثيل الفخمة؟ إنها رمز لمحبة العالم و"مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ" (يع ٤ : ٤).

بنى مذبحًا للرب الذي ظهر له

قال له الله: لا تخف يا إبراهيم من هؤلاء الكنعانيين وما عندهم من عظمة وتشامخ. لا تخف فإن هذه الأرض سوف تتقدس وتتخصص لعبادتي. هكذا يقول الكتاب: "ظَهَرَ الرَّبُّ لِلْأَبْرَامَ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ" (تك ١٢ : ٧).

وعندما ظهر الرب لإبراهيم تبذرت مخاوفه، وعندما قال له "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ". فهم أن العبادة الوثنية سوف تنتهى، فقام فرحًا وبنى مذبحًا للرب وقدم عليه ذبائح.

وفى كل مكان ذهب إليه إبراهيم كان يبنى مذبحًا للرب، وكان يسمى هذا المذبح على اسم الرب، وأحيانًا يسمى المكان على اسم المذبح، ولما كان إبراهيم يرتحل من هذا المكان يظل المذبح قائمًا شاهدًا وتذكيرًا أبدياً.

وكل من يأتى إلى هذا المكان يعرف أن فيه ظهر الرب لإبراهيم، وفيه أعطى الوعد لإبراهيم، فيقوم بترميم المذبح، ويقدم هو أيضاً الذبائح. فصار المذبح ليس فقط مكاناً لتقديم الذبيحة، ولكنه شاهد مستمر على العلاقة الدائمة بين الله والإنسان. كان المذبح هو الرباط الذى يربط الإنسان بالله.

إن كان الرب قد ظهر لإبراهيم وأعطاه وعداً، فكيف يقدم إبراهيم الشكر لله، كيف يقدم اعترافاً بفضل الله، كيف يقدم عربوناً أو برهاناً على الإيمان، كيف يدخل فى شركة الحياة مع الله؟ يقول الكتاب: "فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ" (تك ١٢ : ٧). لكن.. لماذا الذبيحة والمذبح؟! ألا يكفى التعبير بكلمات الشكر؟

نجيب: كلا.. ليست هناك عبادة مقبولة أمام الله إلا من خلال الذبيحة، وبدون الذبيحة لا يقبل الله صلاة ولا يقبل عبادة، ولا يجد الإنسان قبولاً أمام الله. هذه هى السمة الواضحة جداً، وهذه هى علامة من علامات الطريق بالنسبة لنا. ليس بالنسبة لنا فقط إنما بالنسبة للآباء أيضاً. هكذا فى كل مكان يأتى إليه إبراهيم، كان يبني مذبحاً للرب شاهداً



وتذكارةً أبدياً. وسر كل ذلك مفهوم طبعاً لأن وعد الخلاص كان هو بتقديم ذبيحة السيد المسيح على الصليب لإتمام الفداء.

هناك أعطيك عهدى

عندما ظهر الرب لإبراهيم، بنى له إبراهيم مذبحاً، كوسيلة تعبر عن العلاقة بينه وبين الله؟ إذ قال له الله: اخرج يا إبراهيم إلى الصحراء، اخرج إلى الأراضى الجرداء.. هناك أعطيك عهدى، وهناك نبدأ علاقة حقيقية وأعطيك وعدى. وهناك تستحق أن تصير أباً للمؤمنين، وتستحق أن ترث "المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله" (عب ١١ : ١٠)..

إن جلست فى التراب متضعاً سوف أجعلك ملكاً، إنما إن سعيت وراء الملك، سيكون مصيرك فى التراب. إذا خرجت إلى الصحراء، سوف أجعلك غنياً. لكن إن سعيت وراء الغنى، فالكتاب يقول: "هلم الآن أيها الأغنياء، ابكوا مؤولين على شقاوتكم القادمة. غناكم قد تهرأ، وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدنا، وصداهما يكون شهادة عليكم، ويأكل لحومكم كنار! قد كنزتم فى الأيام الأخيرة" (يع ٥ : ١ -

(٣). وقال السيد المسيح: "لأنَّه مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَحَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَن نَفْسِهِ؟" (مت ١٦ : ٢٦). اخرج يا إبراهيم وسِر في الدنيا وأنت تشعر إن ليس لك فيها شىء، ولا حتى شبر أرض..

هكذا سار إبراهيم. وكلما وصل إلى مكان لعله هو الموضع الذى قال له الرب عنه، يقول له الله: ليست هذه هى الأرض يا إبراهيم، ارتحل غرباً، ارتحل جنوباً... رحلة طويلة تغرب فيها إبراهيم، لدرجة إنه فى إحدى المرات نزل إلى أرض مصر بسبب المجاعة.

رأس جسر للعبور إلى السماء

وأخيراً قال له الله: يا إبراهيم أنا سوف أعطيك قطعة أرض. فقال له إبراهيم: ماذا تعطينى يا رب؟ قال له: سوف أعطيك قطعة أرض لا تتعدى مترين!! وما هى هذه الأرض؟ هى مغارة المكفيلة لكى تُدفن فيها أنت وامراتك!! ليست هذه الأرض لكى تبني فيها بيتاً ولا لتزرع فيها أو تعلق، لكنها مجرد مكان لكى يركز عليها السلم المتجه إلى العالم الآخر،

هذه الأرض هى فقط لكى تعبر بها من الأرض إلى عالم الروح فى الطريق إلى الفردوس بعد إتمام الفداء.  
فقال له إبراهيم أشكرك يارب، ماذا أطلب بعد، هذه الأرض تكفى لكى يتوارى فيها الجسد بعد الممات، من أجل ذلك لم يشتري إبراهيم أرضاً على الإطلاق. حتى عندما ذهب لبنى حث قال لهم: سارة امرأتى قد ماتت وأريد أن أدفنها، فقالوا له خذ مغارة حقل المكفيلة هدية يا إبراهيم. قال لهم لا آخذها هدية ولكنى أدفع ثمنها، فوافقوه وأعطوه إياها، فقام وسجد أمامهم على الأرض وشكرهم... (انظر تك ٢٣).

### حقل مغارة المكفيلة



هذا الحقل كان مجرد مغارة.  
وضع إبراهيم فيها سارة امرأته...  
ومرت الأيام وجاء ابن إبراهيم الذى هو السيد المسيح، "وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلبَ فِيهِ بُسْتَانٌ وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يو ١٩ : ٤١)، كان القبر منحوتاً فى صخرة مثل مغارة المكفيلة. هكذا دُفن السيد

المسيح فى قبر استعاره من يوسف الرامى، ولم يكن له قبر لكى يُدفن فيه.

وكان السيد المسيح يقول ليوسف الرامى: يا يوسف أنا أشكرك لأنك دفنتى، لكنى أريد أن أقول لك يا يوسف.. هل الحى (بعد قيامته) يحتاج إلى مقبرة!؟

أنا سوف أترك لك هذا القبر لكى يكون أعظم كنيسة فى العالم كله، فعندما ذهبت المريمات باكر يوم الأحد "وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: مَنْ يُدْخِرُ لَنَا الْحَجَرَ عَنِ بَابِ الْقَبْرِ؟" (مر ١٦: ٣). كانت النسوة حاملات الحنوط والطيب لكى يضعنه على جسد الرب يسوع، فوجدن الملاك داخل القبر قال لهن: "لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ!" (لو ٢٤: ٥، ٦). كان القبر فارغًا، ورأين الكفن والمنديل موضوعًا وحده، والملائكة منيرة، ومنظر القبر عجيب جدًا... هكذا رأين القبر الفارغ الذى يعلن الحياة الجديدة.

وكان السيد المسيح يقول: حتى القبر الذى وهبتمونى إياه قد تركته لكم، وليس القبر فقط إنما حتى الكفن، والملابس التى لى وأنا معلق على الصليب أخذها العسكر وقسموها، واللباس

اقترعوا عليه.. فقد خرجتُ من هذا العالم وليس لى شىء؛ لا ملابس قبل الصلب ولا كفن بعد الصلب، ولا قبر.. لقد تركتُ كل شىء.. القبر يشهد للقيامة، والكفن يشهد لموتى وقيامتى من الأموات..

ولكى أعلمكم أيضاً أن هذه هى حياة أولاد الله، عابرين غرباء ولسان حالهم يقول مع أيوب الصديق: "عُرْيَانَا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانَا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ" (اي ١ : ٢١).

حتى الجسد الذى أخذه الرب من العذراء مريم قال لتلاميذه "خُذُوا كُلُّوْا. هَذَا هُوَ جَسَدِي" (مت ٢٦ : ٢٦). "وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَدَّلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو ٢٢ : ١٩). قال جسدى أبذله من أجل حياة العالم، سوف أعطيكم جسدى لى تحيوا به، سوف أعطيه لكم عطية للحياة.. جسدى ودمى فى سر الإفخارستيا؛ جسدى أبذله ودمى يُسْفِكُ من أجل خلاصكم جميعاً. وهذا الجسد المصلوب القائم الممجّد صعد إلى السماء ليشفع فى المؤمنين أمام الأب كل حين.

أرض الميعاد

وُضع السيد المسيح فى القبر ولكنه قام وصعد إلى سماء السماوات، فكان القبر له مكانًا للعبور وليس مكانًا للسكنى. فمثلما كان القبر بالنسبة للسيد المسيح هكذا كانت مغارة حقل المكفيلة بالنسبة لإبراهيم. وهكذا أيضًا كانت كنعان أو أرض الميعاد بالنسبة له، لم تكن هى الميراث الذى تطلع إليه عندما قال له الله هلم إلى الأرض التى أريك.. كانت أرض الميعاد بالنسبة لإبراهيم رأس جسر للعبور من الأرض إلى السماء. ولم يأخذ من الأرض التى وعده الرب بها ميراثًا له هو شخصيًا، وقد شرح القديس إستفانوس ذلك أمام مجمع اليهود فى سفر الأعمال فقال: "وَلَمْ يُعْطِهِ فِيهَا مِيرَاثًا وَلَا وَطْأَةً قَدِيمًا وَلَكِنْ وَعَدَ أَنْ يُعْطِيَهَا مُكَاً لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدُ وَوَلَدٌ" (أع ٧: ٥). فالأرض التى أراه إياها الله لم تكن أمام عينيه هى الأرض بقدر ما كانت هى السماء. الأرض التى أراه كانت هى أورشليم السمائية.

ترك العالم من كل قلبه

لما خرج إبراهيم، خرج أى ترك العالم، تركه من كل قلبه، وبذلك استطاع أن يدخل فى عهد مع الله. لكن إذا كان

العالم يشغل قلب الإنسان، لا يمكن أن يسكن الله فيه، لا يمكن أن يسكن الله فى القلب الذى يحب العالم كما يقول الكتاب: "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ" (يع ٤: ٤). "إِنَّ أَحَبَّ أَحَدُ الْعَالَمِ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ" (يو ٢: ١٥).

هكذا يذكر معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين عن إبراهيم إنه: "بِالْإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. بِالْإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهَذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ. لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الْأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ... وَلَكِنْ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيَّ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِي بِهِمُ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عب ١١: ٨-١٦).

المدينة التى لها الأساسات

كان الآباء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى العهد القديم ينتظرون المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها

الله، ويبتغون وطنًا أفضل أى سماويًا... إبراهيم عندما خرج من أور الكلدانيين، خرج وتترأى أمام عينيه مدينة أخرى صانعها هو الله، وهو يرى أمام عينيه أمجاد أخرى خاصة بالله، تجتذبه أشواق تختلف عن أشواق حب الذهب والفضة والعالم، تجتذبه أشواق من نوع آخر. ربما يتعجب البعض كيف يكون إبراهيم في هذه الحالة وهو خارج من أور الكلدانيين.. لأن من كان يستطيع في العهد القديم أن يفكر بهذا الأسلوب!!؟

ويقول يوحنا الرائي الذي من نسل إبراهيم، وهو من رسل الخروف الإثنا عشر يقول: "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا" (رؤ ٢١: ٢). فإن كان يوحنا أحد أبناء إبراهيم قد رأى هذا المنظر، فهل رآه إبراهيم؟

من بعيد نظرها



لنسمع ماذا يقول الكتاب: "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا،



وَأَقْرَبُوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ  
مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي  
خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنَّ الْآنَ يَبْتَغُونَ  
وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا" (عب ١١ : ١٣-١٦)...

وهنا نقول: نعم لقد رأى إبراهيم أورشليم السماوية.. كما  
يقول الكتاب: "لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات،  
التي صانعها وبارئها الله" (عب ١١ : ١٠)، وإن كان لم يصل  
إليها بعد ولكنه رآها من بعيد، كان يسير برجليه على الأرض  
وعينه ترى السماء. كان يعيش على الأرض وفكره فى  
السماء، لأنه عاش على الأرض كغريب.. وهذه هى حياة  
أولاد الله.

يبتغون وطنًا أفضل أى سماويًا  
لم يكن من السهل أن يترك إنسان كل الحضارة التي  
نشأ فيها لكي يخرج إلى الصحراء الجرداء إلا إذا كان يعاين  
أورشليم السماوية بعين النبوة وتتضح أمام عينيه تلك الأمجاد  
التي دعاه الله إليها. إن كان استفانوس يقول: "ظَهَرَ إِلَهُ  
الْمَجْدِ لِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ"، فإذا كان إبراهيم قد رأى الله نفسه (أى

الابن الوحيد الجنس) أفليس من الممكن أن يرى أورشليم  
السماوية؟!!

فألم هو الذى دعا إبراهيم، وهو الذى ظهر له، وهو الذى  
أعطاه الموعد. وكان الوعد لإبراهيم وعدًا بالخلص، وعدًا  
بالحياة أكثر منه وعد بميراث أرضى. لو كان الوعد الذى  
أعطاه الله لإبراهيم هو وعد بميراث أرضى لكان الأمر  
مرتبطًا بالأرضيات، لكن الوعد كان وعدًا سماويًا.  
إعداد شعب خاص لله

كان الهدف من أرض الميعاد التى أعطاه الله لإبراهيم؛  
هو أن يعزله عن منطقة العبادة الوثنية التى تبنى فيها وسط  
عشيرته، فبنشأ نسله فى أرض غريبة ولا يختلط مع تقاليد  
وعبادات هذه الأراضى الغريبة، ويعيش يعبد الله بأسلوبه  
الخاص.

وعلى قدر المستطاع أمكن أن يتحقق هذا الهدف، فى أجيال  
وعصور متلاحقة عاشت الأمة اليهودية التى أعطاه الله  
الناموس والشريعة تعبد الله فى وسط شعوب وثنية. ولو أنه  
بالرغم من هذا كانت العبادة الوثنية تتسلل أحيانًا، وكان الله  
يغضب على شعبه ويؤدبه. بل سمح أن يدخلوا فى سبى

طويل، وقال: "أَنْقُلْكُمْ إِلَى مَا وَرَاءَ بَابِلَ" (أع ٧: ٤٣)، فرجعوا مرة أخرى إلى ما بين النهرين وإلى أور الكلدانيين لكي يعرفهم أنهم إن تركوا عبادة الله فمن الممكن أن يتخلى الله عنهم أيضاً، ويسلمهم لأيدى أعدائهم... ولكن كل هذه المراحل التى عبرت كانت إلى أن يأتى المسيح مخلص العالم.

كان الأمر يتطلب أن يكون هناك جماعة لها نبوات وعبادة تشهد بمجيء المخلص. فكانت الأمة اليهودية؛ وكانت الكتب المقدسة، والممارسات الطقسية، والعبادة اليومية، والأعياد والعادات، والتقاليد، كلها تدور حول عقيدة أساسية هى أن الله سوف يرسل المسيا مخلص العالم.

من هذا نعرف أن أرض الميراث أو أرض الميعاد التى هى أرض كنعان لم تكن هى الهدف فى حد ذاتها، لكن كانت وسيلة مؤقتة لإعداد الشعب اليهودى، لكي يخرج الخلاص من اليهود، وتبدأ الكرازة بالإنجيل وتنطلق من اليهودية إلى أقاصى الأرض.

كما قال السيد المسيح لتلاميذه إنهم يشهدون له فى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض "لَكِنَّكُمْ سَتَتَّالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ" (أع ١ : ٨). وقال للمرأة السامرية إن "الْخَلَّاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ" (يو ٤ : ٢٢) أى أن الخلاص يبدأ من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومن نسل داود الملك.

وبعدما يتم الفداء عن طريق نسل داود يُكْرَزُ باسمه للتوبة فى كل العالم، ولا يظل الله متخصصاً لشعبٍ معين لأن ذلك كان أمراً مؤقتاً إلى أن يتم الفداء. لكن أصبح الشعب المقصود هو كنيسة المسيح والأرض المستهدفة هى أورشليم السماوية.

نتبارك فىك جميع قبائل الأرض

ثم صار كلام الرب لإبراهيم قائلاً: "لَا تَخَفْ يَا أَبْرَاهِمُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا" (تك ١٥ : ١). وقال له: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَاَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوباً وَشَرْقاً وَغَرْباً. لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ.



وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ إِذَا اسْتِطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ  
 تُرَابَ الْأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. فَمِ امْشِ فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا  
 وَعَرَضَهَا لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا" (تك ١٣ : ١٤ - ١٧)

وأنا يا إبراهيم سأحقق الوعد الذى قلته لك يوم أن قلت لك  
 "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ  
 الَّتِي أُرِيكَ فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ  
 بَرَكَهً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلَاعِنِكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ  
 قَبَائِلِ الْأَرْضِ" (تك ١٢ : ١-٣).

أنت يا إبراهيم سوف تأخذ بركة لا يستطيع عقل فى الوجود  
 أن يتصورها، فمن نسلك سوف يأتى مخلص العالم كله. من  
 نسلك سيأتى ملك الملوك ورب الأرباب، من نسلك سوف  
 يأتى الذى تخضع له كل شعوب المسكونة وتتعبده له كل  
 قبائل الأرض. من أجل ذلك قال له وتتبارك فىك جميع قبائل  
 الأرض.

هلم ورائى ...

لقد كان كل ما يشغل إبراهيم هو ذلك الوعد الذى أعطاه  
 الله لآدم وحواء أن نسل المرأة يسحق رأس الحية "فَقَالَ الرَّبُّ

الإله لِلْحَيَّةِ ... وَأَضَعُ عَدَاوَةَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ  
وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تك ٣: ١٤،  
١٥).

نتصور أن الله قال لإبراهيم: إن كنت يا إبراهيم مشغولاً  
بالأمور السمائية، وإن كان يشغلك خلاص البشرية، وإن كنت  
غير راضٍ عن حالة الإنسان الخاطئة.. وإذ أراك تتأمل فى  
حالة الموت الذى دخل إلى العالم، كما أراك تشعر بتفاهة  
هذه الأرض وكل ما فيها، لأن الأرض بدون الله لا تساوى  
شيئاً. أنا أراك ترقب مصير الإنسان المظلم الكئيب، وكيف  
أن الموت الذى دخل إلى العالم لا يمكن أن يتناسب مع حب  
الله للبشرية.. أنا أراك تبحث وتفتش، فهيا بنا يا إبراهيم لنعمل  
معاً.

هلم لتدخل معى فى عهد، تعال لنبدأ الطريق معاً؛ فبدايته  
هى خروجك من أور الكلدانيين، ونهايته هى الوصول إلى  
أورشليم السمائية. أنا الذى سوف أذل أمامك كل الصعاب،  
سوف أحطم المتاريس، سوف أفك القيود، سوف أحرر "أنا  
أنا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلَّصٌ" (إش ٤٣: ١١).

اخرج يا إبراهيم، اخرج لكي تستطيع أن تخرج من القبر ولكي  
تستطيع أن تخرج من الموت، وتستطيع أن تخرج من الأسر.  
اخرج إلى الحرية، اخرج إلى الحياة... وجاء السيد المسيح  
يقول يأتون من المشارق والمغرب ويتكئون في حضن إبراهيم  
"إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكُونَ مَعَ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ٨:  
١١). يا للعظمة، لقد أصبح الفردوس هو حضن إبراهيم،  
والفردوس يسمونه أحياناً الأحضان الإبراهيمية!!

عهد الخلاص ... عهد دم

عاش إبراهيم متغرباً في هذه الأرض. لكن بعد أن وصل  
إلى تلك الأرض الموعودة كان لابد أن يدخل معه الله في  
عهد، هذا العهد هو عهد الخلاص. لذلك "وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنًا  
تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: "أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ.  
سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأُكْتَرِكَ  
كَثِيرًا جِدًّا" (تك ١٧: ١، ٢).

في سن تسع وتسعين سنة أعطى الله هذا العهد لإبراهيم  
وتكلم الله معه قائلاً "أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ وَتَكُونُ أَبًا

لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ. فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ  
اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ. وَأُثْمِرُكَ  
كَثِيرًا جِدًّا وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا وَمُلُوكًا مِنْكَ يَخْرُجُونَ" (تك ١٧ : ٤ -  
٦).

"وَقَالَ اللَّهُ لإِبْرَاهِيمَ: سَارايُ امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو اسْمَهَا سَارايَ بَلْ  
اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ  
أُمَمًا وَمُلُوكًا شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ. فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ  
وَضَحِكَ وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: "هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ  
سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟" (تك ١٧ : ١٥-١٧).

دعاه الله وأعطاه وعدًا، لما كان فى سن تسع وتسعين سنة  
وصنع معه عهدًا، وقال له الله "أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ  
وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ" (تك ١٧ : ٤). "وَقَالَ اللَّهُ  
لِإِبْرَاهِيمَ: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي  
أَجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ ... يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ  
ذَكَرٍ" (تك ١٧ : ٩ ، ١٠).



وعهد الختان هو عهد دم لأن العهد بين الله وإبراهيم هو عهد خلاص كإشارة للخلاص بدم المسيح "وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عب ٩ : ٢٢).

انتقل من الوعد إلى العهد، ولما تكلم معه عن العهد قال له سارة سوف تلد وأباركها وأعطيك منها ابناً، فكان عهد الختان مرتبطاً بولادة سارة لإسحاق، "فَقَالَ اللهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ" (تك ١٧ : ١٩)...

### عهد الختان رمز المعمودية

الإنسان يُولد حسب الجسد أولاً من الأب والأم، فيرت طبيعة الجسد. مثلما قال السيد المسيح "الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو ٣ : ٦). ثم يُولد بعد ذلك من بطن الكنيسة؛ من رحم الكنيسة فى المعمودية التى قال عنها السيد المسيح: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ.. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو ٣ : ٣، ٥).

فهذا الميلاد فوقانى يعنى أن الإنسان قد وُلد من الله ولادة جديدة، وتصبح أورشليم بالنسبة له هى أورشليم الجديدة. والأرض هى أرض جديدة يسكن فيها البر... حياة جديدة، أرض جديدة، سماء جديدة، هوذا الكل قد صار جديدًا.

"إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (٢كو ٥: ١٧).  
من أجل ذلك فبدء الطريق إلى أورشليم السمائية هو الميلاد بالمعمودية، المعمودية التى هى بدلاً من الختان. ولذلك عندما تكلم الله مع إبراهيم عن ولادة إسحاق من سارة أعطاه عهد الختان. ولأن الختان كان رمزاً للمعمودية. لذلك صار الختان بالنسبة لنا حالياً مسألة ثانوية طبية، فالله لا يأمر بالختان لكنه يأمر بالمعمودية "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ يُدَنَّ" (مر ١٦: ١٦).

### ختان القلب بالروح

يتكلم الكتاب عن ختان القلب بالروح فيقول بولس الرسول: "خِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْكِتَابِ؛ هُوَ الْخِتَانُ الَّذِي مَدَحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (رو ٢: ٢٩). ففى العهد

الجديد أصبح ختان القلب بالروح وليس الختان المصنوع باليد فى الجسد، ولذلك يقول الكتاب "وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ" (كو ٢: ١١)، هذا هو الختان الذى نمارسه فى العهد الجديد.

وكيف نخلع جسم خطايا البشرية إلا فى المعمودية، وهذا ما شرحه معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية بقوله: "قَدْفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسْأَلُكَ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ... عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْتَطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ" (رو ٦: ٤، ٦).

ويقول معلمنا بولس الرسول أيضاً: "لَأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمْ الْمَسِيحَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٣: ٢٦-٢٨). فمن الواضح أنه يربط البنوة لله بالإيمان وبالمعمودية.

ولأن المعمودية قد حلت محل الختان الجسدى، لهذا يؤكد معلمنا بولس الرسول أن الختان لم يعد يعتبر كوسيلة للخلاص "لأنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" (غل ٥: ٦). من أجل ذلك أصبح الختان فى المسيحية لا لزوم له إلا إذا مارسه البعض لأسباب طبية لا علاقة لها بالخلاص.

وفى الأصحاح السادس من نفس الرسالة قال: "لأنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ" (غل ٦: ١٥). فى العهد الجديد قد استبدل الختان بالمعمودية. وأصبح الختان هو ختان القلب بالروح فى المعمودية، فالمعمودية بداية الطريق إلى أورشليم السماوية.

### الخروج إلى الحياة الجديدة

إن الخلاص الذى صنعه السيد المسيح هو بدم صليبه، والعهد هو عهد خلاص، عهد عبور، عهد حرية، وكما استطاع السيد المسيح أن يسحق الجحيم، ويسحق الموت هكذا أعطى الذين آمنوا به أن يعبروا.

ولذلك قال الله لإبراهيم: اخرج من أرضك، اخرج من طبيعتك القديمة، اخرج من القبر، اخرج من الموت، اخرج من العبودية، هذه هى المسيحية؛ هى خروج هى انطلاق، هى تلك الحياة التى أشرقت فى قلب الإنسان "إلى أن ينفجر النهار وَيَطْلَع كَوَكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ" (٢بط ١: ١٩) هكذا يقول الكتاب. أى أن النور ينفجر فى حياة الإنسان.

الدعوة التى وُجِهَتْ إلى إبراهيم هى دعوة للخروج. والخروج هو ولادة جديدة مثل خروج الجنين من بطن أمه، هكذا يخرج الإنسان من الظلمة إلى النور، يخرج من ذاته ومن محبته لذاته لكى تشرق عليه أنوار الأبدية. المسيحية هى الولادة الجديدة لكنها ليست ولادة شكلية طقسية تمارس فى معمودية الماء فقط، ولكنها ولادة حقيقية سمائية من الماء والروح بالإيمان. "فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غل ٢: ٢٠).

إبراهيم ومدرسة الإيمان

ما حدث مع إبراهيم فى حياته هو نوعٌ من التدرج فى خبرة الإيمان... هذا الإيمان الذى قال عنه معلمنا بولس

الرسول: "وأما الإِيمَانُ فَهُوَ النَّقَّةُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى" (عب ١١ : ١). في إيمانه قال إبراهيم لله: يا رب مادمت أنت قلت، فأنت قادر على كل شيء، هكذا يقول الكتاب عنه "قَامَنَّ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا" (رو ٤ : ٣). وتقوى إبراهيم بالإيمان معطيًا مجداً لله وهكذا ولد إسحاق.. "وَلَا بَعْدَمَ إِيْمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللَّهِ بَلْ تَقَوَّى بِالْإِيْمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلَّهِ" (رو ٤ : ٢٠).

لكن هل كانت هناك درجة في الإيمان مطلوبة من إبراهيم أكثر من هذه؟.. نعم لقد تدرج إبراهيم في الإيمان وارتفع لدرجة أعلى من هذا بكثير جداً.

وهنا نريد أن نوضح كيف أن الإيمان هو حياة إختباريه.. في خبرة الإيمان ينتقل الإنسان من مرحلة إلى مرحلة ومن درجة أقل إلى درجة أعلى منها.. يتدرج في مدرسة الإيمان.. هكذا كان الإيمان بالنسبة إلى إبراهيم حياة إختبارية.

البار بالإيمان يحيا

يقول الكتاب: "وَالْبَارُّ بِإِيْمَانِهِ يَحْيَا" (حب ٢ : ٤)، وقد

اقتبس معلمنا بولس الرسول هذه العبارة وكررها كثيراً في

رسائله فيقول: "لأنّ فيه مُعَلَّنُ بَرُّ اللهِ بِإِيْمَانٍ لِإِيْمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَمَّا الْبَارُّ فَبِالْإِيْمَانِ يَحْيَا" (رو ١: ١٧)، "وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ الْبَارَّ بِالْإِيْمَانِ يَحْيَا" (غل ٣: ١١)، "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالْإِيْمَانِ يَحْيَا، وَإِنْ ازْتَدَّ لَا تُسْرَرُ بِهِ نَفْسِي" (عب ١٠: ٣٨).

الله يتدرج معنا فى مدرسة الإيمان كما مع إبراهيم، فى مراحل ليس لها نهاية.. يظل الإنسان يتدرج فى حياة الإيمان حتى يصل إلى شركة الحياة الأبدية مع الله.

الإنسان الآن يؤمن بما لا يرى ويثق بما يُرَجَى؛ يؤمن أن الله موجود، يؤمن أن الله هو الخالق.. كل هذه أساسيات فى حياة الإيمان تستمر معه ولا يستطيع أن يتخلى عنها.

لكن هناك ناحية من الإيمان لن يحتاج إليها الإنسان فى الأبدية؛ وهى أن يؤمن بما لا يراه.. هذا النوع من الإيمان تنتهى مأموريته عندما يدخل الحياة الأبدية، لأنه سوف يرى أمامه المجد الأبدى فلن يكون هناك أمر قد وعد به الله ولم يتحقق. إلا أن معرفة الإنسان عن الله سوف تزداد باستمرار، وينمو فى محبة الله باستمرار، ينمو فى معرفته عنه وعن

صفاته الجميلة؛ هذا نوع من الإنطلاق فى النمو فى معرفة الله يؤدى إلى السعادة الدائمة..

### النمو فى الإيمان

الإنسان فى حياته الشخصية ممكن أن ينمو فى فهم مقاصد الله، فعندما يقرأ فى الكتاب المقدس ربما لا يفهم بعض أسفار فيه، لكن سيأتى الوقت الذى فيه يفهمها. هناك تصرفات يعملها الله، ربما لا يفهمها هو، لكن سيأتى وقت يفهم ماذا كانت حكمة الله فى هذه الأعمال؛ ليس فقط فى حياته الشخصية أو حياته اليومية، إنما فى كل ما يدور حوله، وفى القصص التى يقرأها فى الكتاب المقدس.

إبراهيم وفهم مقاصد الله

فى بداية حياة إبراهيم مع الله لم يكن يفهم جيداً مقاصد الله، وعندما قال له الله أنا سوف أهلك سدوم وعمورة، قال له "حاشاً لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تُميتَ البارَّ مع الأثيم فيكون البارُّ كالأثيم. حاشاً لك! أديانُ كلِّ الأرضِ لا يصنعُ عدلاً؟" (تك ١٨ : ٢٥)، فلم تكن معرفته لله واضحة.



أما بعد أن عاش إبراهيم سنين طويلة مع الله ودخل فى خبرة عملية معه، فإن قال له الله هذا الكلام، فلا يمكن أن يقول له أتهلك البار مع الأثيم، حيث صار هذا الأمر واضحاً عنده تماماً، أن هذه القضية لم تعد موضوع جدال، ولكنه صار واثقاً تماماً إنه من المستحيل أن الله يهلك البار مع الأثيم..

لقد اضطرب إبراهيم فى ذلك الوقت لما سمع كلام الله عن هلاك سدوم... لماذا؟ لأن خبرته ومعرفته لله كانت لا تزال تنمو، مازال يكون معرفة عن الله.. من هو الله، وكيف يتصرف... ودخل إبراهيم فى نقاش مع الله، قال له إن وُجد خمسون باراً فى المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه؟ فقال الرب إن وجدت فى سدوم خمسين باراً فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم.

وتدرج إبراهيم فى مفاوضات مع الله، وأخذ ينقص فى عدد الأبرار إن وُجدوا حتى إلى عشرة، والله من حنوه يوافقه ويقول له: إن وُجد هناك عشرة فلن أهلك من أجل العشرة. وكل هذا كان من أجل أن ينقذ إبراهيم لوطاً ابن أخيه وأسرته.

ولكن السيد الرب فى عظم حنوه أرسل الملاكين ليخرجوا لوطاً من هناك، وأرسلهما بالفعل قبل أن يحاول إبراهيم إنقاذه بالحوار الذى دار بينه وبين الرب. لقد كان الله متحرّكاً فى هذا الإتجاه، لكنه فرح أيضاً أن يطلب إبراهيم من أجل أن يكون هناك أناس أبرار فى المدينة، ومن أجل إنقاذ هؤلاء الناس. وهذا يؤكّد المقاصد الإلهية ويدعمها، كما يؤكّد كيف يفرح الله عندما تلتقى إرادة الإنسان مع إرادته. هكذا أنقذ لوطاً البار من وسط الانقلاب.

### أحكام الله رحمة وعدل

لقد بدأ إبراهيم يفهم صفة جديدة عن الله لم يكن يفهمها قبل ذلك؛ إن الله ليس فقط من أجل عشرة كان من الممكن أن يصفح، لكنه إن لم يجد سوى إنسان واحد، هذا الواحد لا يمكن أن يهلك بسبب إثم هذه المدينة.. هذا الواحد لا بد أن ينقذه الله، لأن النفس الواحدة فى نظر الله غالية جداً مثل عشرات الملايين من النفوس.

فى هذا الحوار اعتبر إبراهيم أن عشرة نفوس من الممكن أن تُنقذ، بينما لا يهم إنقاذ نفس واحدة، لأنه لم يفهم أن الله عنده طرق أخرى للإنقاذ. لقد اعتبر الحد الأدنى للإنقاذ هو العدد عشرة، والعدد عشرة فى المفهوم الكتابى يرمز إلى كمال العدد.. لكن النفس الواحدة عند الله لها قيمتها. هنا بدأ إبراهيم يفهم من هو الإله الذى هو يعبده ويحبه، ومن هو الإله الذى يتعامل معه... هل نقول هذا الكلام لنتنقد إبراهيم؟ كلا.. فقد كان أبونا إبراهيم ينمو فى معرفة الله.

ونعتقد أنه لو جاء الله بعد ذلك ليقول له: يا إبراهيم أنا سوف أهلك المكان الفلانى، سيقول له: لتكن إرادتك يارب، أنت تهلك من تهلك. "قَدْ عَلِمْتُ يَا رَبُّ أَنَّ أَحْكَامَكَ عَادِلَةٌ" (مز ١١٨: ٧٥)، "عَادِلٌ أَنْتَ يَا رَبُّ وَقَضَاؤُكَ مُسْتَقِيمٌ" (مز ١١٨: ١٣٧).

مرحلة أعلى فى إيمان إبراهيم

بعدهما وُلد إسحاق؛ هذا الابن الذى طالما انتظره إبراهيم كل هذه السنين قال له الله: "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى

أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ" (تك ٢٢ : ٢) .. كيف ذلك؟ أليس هذا الذي قال الرب له عنه أن نسلك سيكون كنجوم السماء؟!.. قد يفترض البعض أن إبراهيم ربما كان يعرف أنه إن ذبح إسحاق، سوف يعطيه الله ابناً آخر بدلاً من إسحاق يتم به الوعد..

كلا.. فلننظر هذا التحدي، لقد قال له الله: "وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ" (تك ١٧ : ٢١). "لَأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (تك ٢١ : ١٢).

كان من المفترض أن يقول إبراهيم لله: يا رب إن كل ثمرة إيماني كانت نتيجتها إسحاق هذا، فهل أذبح كل ثمرة الإيمان؟!.. فإسحاق هو الثمرة التي حصلت عليها كمكافأة للإيمان الأول.. فيقول له الرب: لا يا إبراهيم.. إن كنت أنت تقدم ثمرة إيمانك الأول كتقدمة، سوف يتولد منها ثمرة أقوى منها. فهكذا أوضح السيد المسيح "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتَ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يو ١٢ : ٢٤). قال له اذبح

لى إسحاق وأنت سوف تُرفع لدرجة أعلى وتعطى ثمرة أقوى..

ووافق إبراهيم وتقوى فى الإيمان، وهكذا يقول عنه الكتاب:



"فَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ  
وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ  
وَشَقَّقَ حَطْبًا لِمُحْرَقَةٍ وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى  
الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ" (تك ٢٢:

٣)... وتساءل إبراهيم ماهى هذه الثمرة  
الأقوى؟ قال له الله: لو قررت فعلياً أن

تذبح إسحاق، أعطيك السيد المسيح نفسه من نسل  
إسحاق!!..

من أجل ذلك عندما أمسك إبراهيم السكين لكى يذبح ابنه،  
قال له الله عبارة عجيبة جداً قال له "بِدَاتِي أَفْسَمْتُ يَقُولُ  
الرَّبُّ أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا الأَمْرَ وَلَمْ تُمَسِكِ ابْنَكَ  
وَحِيدَكَ. أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ  
وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ.

وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ  
لِقَوْلِي" (تك ٢٢ : ١٦-١٨).

وهكذا إذ تأنى نال الموعد

وحيثما تكلم معلمنا بولس الرسول عن وعد الله لإبراهيم،  
أبرز حقيقة في منتهى الروعة والجمال إذ قال: "فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ  
اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسَمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ، قَائِلًا:  
إِنِّي لأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأَكْثُرَنَّكَ تَكْثِيرًا. وَهَكَذَا إِذْ تَأْنَى نَالَ الْمَوْعِدَ"  
(عب ٦ : ١٣-١٥)... لقد أوضح معلمنا بولس الرسول أن  
الوعد بالخلاص، لكي يؤكد الله لإبراهيم لم يكن مجرد كلام،  
ولكن أكده بقسم وأقسم بذاته.

أقسمت بذاتي يقول الرب

"بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا  
الْأَمْرَ وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ. أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ  
تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَيَرِثُ  
نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ. وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ مِنْ  
أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي" (تك ٢٢ : ١٦-١٨).

ربما من يقرأ هذه العبارات يظن أن الأمر مجرد أن الله أقسم لإبراهيم بكلمات.. لكن كلمة أقسمت بذاتى تعنى أكثر من الكلام المجرد، فالمعنى هو أنى فى هذا القسم وضعت ذاتى ثمناً لتحقيقه.. أى أنه فرضاً إذا لم أحقق الخلاص ستكون ذاتى أنا مقابله.. يا للعجب!! الله يضع ذاته ثمناً لتحقيق القسم.. أمر يقف أمامه العقل منذهلاً!!

ربما يتساءل البعض ويقول لماذا يتجسد السيد المسيح ويُصلب من أجلنا؟!.. ونجيب: إذا كان الله أقسم بذاته أن يصنع الفداء، أتستكثر عليه أن يرسل ابنه لكى يُصلب ويفدنا ويخلصنا؟!..!!

كلمة أقسم بذاته فى حد ذاتها تشير إلى الخلاص.. لماذا؟ لأن معناها أن الخلاص عند الله ثمين جداً، لدرجة إنه بسبب هذا الخلاص أقسم بذاته. لذلك قال السيد المسيح "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦)، ولأن الأب والابن متساويان فى المجد بسبب وحدانية الجوهر الإلهى؛

فإن الخلاص الذى يتمه الابن المتجسد بذبيحة نفسه يُحسب لحساب الآب والروح القدس.

فكل ما هو فى ملكية الآب هو فى ملكية الابن. والآب يستوفى للعدل الإلهى حقه لحساب الثالث فى قبوله لذبيحة الابن الوحيد. والابن يقدم للعالم محبته لحساب الثالث أى لحساب الآب والروح القدس مثلما هو لإظهار محبته شخصياً.

فإذا قام أحد الأقانيم الثلاثة بدوره المتميز؛ فإنه يتمه فى إطار العمل الواحد للتالوث القدوس. وبهذا نفهم أن الله قد وعد إبراهيم بأنه سوف يقوم بإتمام الفداء بذبيحة المسيح الذى لم يأت من غيره من الملائكة والبشر للقيام بهذا الخلاص العجيب. كما يصلى الكاهن فى القداس الغريغورى قائلاً: {لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبياً اتتمنته على خلاصنا، بل أنت وحدك بغير استحالة (أى بغير تحول) تجسدت وتأنست}... هذا الخلاص غالٍ وثمان عند ذلك لم يأت من عليه أحداً حتى وإن كان ملاكاً أو رئيس ملائكة أو رئيس آباء أو نبياً..



لقد عاشت الأجيال بعد ذلك على رجاء ذلك القسم؛ لأنه كان عهداً قد أقسم الله به.. لقد صنع الله عهداً مع كثير من القديسين البطارقة الأول.. مثلما قطع عهداً مع نوح ووضع علامة العهد قوس قزح فى السحاب.. لكن العهد الذى مع إبراهيم كان عهداً عجبياً جداً إذ قال له الله: "بِدَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ". لذلك من يستطيع أن يشك فى هذا العهد الذى فيه أقسم الله بذاته؟!!

فتشوا وبحثوا عن الخلاص

بعدما أعطى الله لإبراهيم الأمانة التى تمناها وهى ميلاد إسحاق، كان ميلاد إسحاق بالنسبة له هو إمتداد لحياته وفرصة الأمل والرجاء فى الخلاص الذى أعطى به الله وعداً لأدم ولنسله، وتجديد الوعد بالخلاص. ويتكلم معلمنا بطرس الرسول عن هذا الأمر فى حياة إبراهيم وغيره من رجال الله فيقول: "تَائِلِينَ غَايَةَ إِيْمَانِكُمْ خَلَاصَ النُّفُوسِ. الْخَلَاصَ الَّذِي فَتَّشَ وَيَحْتَهُ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لِأَجْلِكُمْ، بَاحْتِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ

رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ  
وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا. الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَأَنْفُسِهِمْ، بَلْ  
لَنَا كَانُوا يَخْدُمُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمْ الْآنَ  
بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ.  
الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَطَّلَعَ عَلَيْهَا" (١بط ١: ٩-١٢).

هذا الخلاص وإن كان قد فتش عنه أنبياء، فبالأولى كثيراً  
يكون إبراهيم كأحد الأنبياء العظام جداً قد بحث عن هذا  
الخلاص. والسيد المسيح نفسه قال هكذا وأكد هذا المعنى  
عندما قال لليهود: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى  
وَفَرِحَ" (يو ٨: ٥٦).

إبراهيم تهلل أن يرى يومى

متى رأى إبراهيم يومه الذى يقول عنه المزمور "هَذَا هُوَ  
الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهَجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ" (مز ١١٧: ٢٤).  
بعدها وُلد إسحاق كان إبراهيم يصرى ويقول: يارب كيف  
سيتم الفداء والخلاص؟ فإسحاق إنسان مثل أى إنسان، وليس  
هناك فرق كبير بين إسحاق وبينى، وهو نفسه محتاج إلى

الخلاص، فكيف يكون إسحاق هذا هو الوسيلة التى تخلص بها العالم كله؟!..!!..

وربما أجابه الرب وقال له: يا إبراهيم إنك تطلب إعلانات ثمنها غالٍ جداً. فقال له إبراهيم: أنا مستعد أن أدفع الثمن لكى أعرف تدبيرك من أجل خلاص العالم.. فقال له الله: إن كان الأمر هكذا.. خذ ابنك إسحاق وقدمه لى محرقة، "خُذ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَادْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْيَا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ" (تك ٢٢: ٢).. إن كنت تريد أن تعرف تدبيرى للخلاص، خذ ابنك إسحاق وقدمه لى محرقة..

أما إبراهيم فلشدة اشتياقه للوصول إلى المقاصد الإلهية، يقول عنه الكتاب: "فَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحاً وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ وَشَقَّقَ حَطْباً لِمُحْرَقَةٍ وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ" (تك ٢٢: ٣).

لأعرفه وشركة آلامه

وفى اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد.. سار ثلاثة أيام وهو لا يكف عن أن يصلى ويفكر؛ إن

ذبحتُ إسحاق ماذا يحدث؟!.. إن كان بإسحاق هذا قد أخذتُ الوعد بالخلاص فكيف يُذبح إسحاق ويموت؟!.. أقول يا رب افهمنى كيف يتحقق الوعد؟! أنت تقول لى اذبح إسحاق، فهل بعد أن أذبحه ممكن أن يتحقق الوعد؟

نعم... يتحقق الوعد لأن الله ليس إنسان فيكذب كما يقول الكتاب "لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمُ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟" (عد ٢٣ : ١٩). وبدأ إبراهيم يشعر بالآلام تعترضه من الداخل، كيف يذبح ابنه بيده؟!..

فى وسط هذه المشاعر بدأ يفهم قيمة مشاعر الله الأب عندما سيصنع الفداء من أجل البشر.. ومدى مقدار محبة الله حينما يقدم ابنه الوحيد ذبيحة عن حياة العالم كله.. وبدأ إبراهيم يفهم معنى محبة الله الباذلة من أجل الفداء ومن أجل الخلاص.

وبدأ الإعلان فى حياة إبراهيم وهو فى ذروة هذا الإحساس.. كيف ذلك؟ إذا كان الإنسان يريد أن يأخذ أعظم الإعلانات الإلهية عليه أن يدخل فى شركة الروح القدس، حتى لو كان الموقف صعباً عليه كإنسان. وعندئذ يتحقق فيه كلام الكتاب

"عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعْزِيَاتِكَ تُلَذِّدُ نَفْسِي" (مز ٩٤):

(١٩). لقد دخل إبراهيم أيضاً إلى شركة الآلام مع المسيح.

كانت فترات الانتظار الأولى وفترات التكوين الأولى كلها تهيئه لإبراهيم للدخول إلى شركة الألم مع المسيح، إنما الآن

يعتبره السيد المسيح إنه على وشك التخرج فى مدرسة الإيمان

لكى تعطى له البركة.. التى هى بركة الألم وشركة الألم "لأنه

كَمَا تَكْثُرُ آلامُ الْمَسِيحِ فِيْنَا، كَذَلِكَ بِالْمَسِيحِ

تَكْثُرُ تَعْزِيَاتُنَا أَيْضاً" (٢كو ١: ٥).



خبرات إبراهيم الأولى كانت خبرات الحيرة

والقلق والانتظار أما خبرته الأخيرة كانت

خبرة التضحية والبذل وخبرة الألم

والمعاناه.. فعندما يرتقى الإنسان فى احتماله للآلام، يدخل

فى شركة الصلب مع المسيح.. وعندما يدخل فى شركة

الصليب يفهم قصد الصليب وإعلان الصليب.. فيقول مع

بولس الرسول: "لَأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلامِهِ، مُتَشَبِّهًا

بِمَوْتِهِ" (فى ٣: ١٠).

كما تكثر الآلام تكثر التعزية

لا يستطيع الإنسان أن يدرك قوة قيامة المسيح، ولا أن يدرك إعلان أسراره الإلهية، ولا يمكن أن يدخل إلى أمجاد الحياة الأبدية.. لا يمكن أبدًا أن يشترك مع المسيح في مجده إلا إذا اشترك معه في آلامه.

لاشك أن الإنسان في لحظات الألم يكون موضع عناية خاصة من الله ويحل عليه روح الله، وإذا حل عليه روح الله فهناك نعمة وفرح وتعزية وسلام، كما يقول معلمنا بولس الرسول: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيْمَانٌ. وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ" (غل ٥: ٢٢). "وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا" (رو ٨: ٣٧).

فإبراهيم مع أنه نبي ويرشده روح الله ويعلم له أمورًا كثيرة، لكن في لحظات ذروة الألم أخذ إلهامًا خاصًا من الروح القدس، رفعه إلى مستوى الرؤيا السامية

جداً والإعلان الفائق للطبيعة..

وهو يجتاز بحر الآلام ويمسك السكين لكي يذبح إسحاق ابنه. في هذه اللحظة كان في حالة رؤيا واستعلان يفوق



النظرة البشرية تمامًا، واستطاع أن يرى السيد المسيح معلقًا على صليب الجلجثة.. واستطاع أن يرى التدبير الإلهي لخلاص البشرية، واستطاع أن يرى السيد المسيح قائمًا من الأموات منتصرًا على الموت والخطية.. هكذا اختفى إسحاق من قدامه، لم يعد يرى إسحاق ولكنه رأى السيد المسيح نفسه معلقًا على الصليب.

ومن يتطلع لهذا المشهد يرى أبًا يمسك بالسكين لكي يذبح ابنه، لكن هذا الأب لم يكن يرى هذا الابن ولم يكن يرى هذه السكين، ولكنه كان يرى العدل الإلهي وهو يستوفى حقه في ذبيحة الصليب. وعندما رجع إسحاق معه حيًا، بعدما أرسل الله حملًا من السماء لفداء إسحاق، لم يكن إبراهيم يرى إسحاق، إنما كان يرى بعين النبوة السيد المسيح عندما ظهر لتلاميذه في العلية وقال لهم سلام لكم "فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ" (يو ٢٠: ٢٠).

عاش إبراهيم تلك اللحظات المجيدة في أيامه.. عاش وشعر بها. ويقول معلمنا بولس الرسول: "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا

وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقْرُوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ"  
(عب ١١ : ١٣).

كيف شهد الروح بآلام المسيح؟

يقول معلمنا بطرس الرسول فى رسالته: "الْخَلَّاصَ الَّذِي  
فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لِأَجْلِكُمْ،  
بَاحِثِينَ أَيَّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ  
الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشْهَدَ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ  
وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا" (ابطا: ١٠، ١١).

**فكيف شهد الروح القدس بآلام المسيح فى حياة إبراهيم؟**

من خلال شركة الألم مع المسيح والأمجاد التى بعدها،  
استطاع أن يفهم ما معنى أن أباً يذبح ابنه؟ ربما نحن نتكلم  
عن هذه الحادثة ونحاول أن نتخيلها ونتصورها، إنما إبراهيم  
عاشها فعلياً. فى هذه اللحظات تلاقت مشاعره مع مشاعر  
الله وأصبح بهذا مستحقاً فعلاً أن يكون وارثاً للوعد  
بالخلاص.

ويقول معلمنا بطرس: "الَّذِينَ أَعْلَنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ  
لَنَا كَانُوا يَخْدُمُونَ بِهِذِهِ الْأُمُورِ". بمعنى أن إبراهيم وهو يذبح



إسحاق كان يعرف أنه يخدم هذه الأمور مثل الكاهن عندما يدخل الهيكل ليخدم على المذبح فى القداى الإلهى.. ونستطيع أن نقول أن إبراهيم فى ذلك الوقت كان وكأنه يصلى قداىاً ويقدم ذبيحة. وكان يستمد من ذبيحة الصليب إعلاناً عن رجاء الخلاص العتيد أن يكون.. كان يمارس كل هذه الأمور..

أمن إبراهيم بالله فحسب له برًا  
 كيف حسب لإبراهيم الإيمان برًا؟ وهل تبرر بالإيمان  
 المجرى من الأعمال، أم أن أعماله أكدت صدق إيمانه؟  
 يقول يعقوب الرسول فى رسالته: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا  
 بِالْأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ  
 عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالْأَعْمَالِ أَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَتَمَّ الْكِتَابُ  
 الْقَائِلُ: «فَأَمَّنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ  
 اللَّهِ. تَرَوْنَ إِذَا أَنَّهُ بِالْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ، لَا بِالْإِيمَانِ  
 وَحْدَهُ" (يع ٢: ٢١-٢٤).

لم تكن أعمال إبراهيم للافتخار أو أعمال للجسد. لكن كانت أعماله هى أعمال طاعة الإيمان وإيمان بالطاعة. فإيمان

إبراهيم لم يكن إيمانًا نظريًا لأن "الشَّيَاطِينَ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!" (يع ٢: ١٩). هكذا يقول يعقوب الرسول أيضًا: "أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي" (يع ٢: ١٨).

هل تبرر بالإيمان أم بالأعمال!!؟

يتساءل بولس الرسول هل إبراهيم تبرر بناموس الأعمال أم بناموس الإيمان؟ ويجيب إنه تبرر بالإيمان. هكذا يقول: "بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أِبْنَامُوسِ الْأَعْمَالِ؟ كَلَّا! بَلْ بِنَامُوسِ الْإِيمَانِ. إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رو ٣: ٢٧، ٢٨). وربما يبدو هذا الكلام فى ظاهره أنه عكس ما قاله يعقوب الرسول..

لكن عندما تكلم بولس الرسول عن ناموس الأعمال، كان يقصد أعمال الناموس التى هى تقديم الذبائح الحيوانية والشرائع الرمزية المتعددة والختان، وكل هذه الأمور التى يمكن أن يظن الإنسان أنه بواسطتها سوف ينال الخلاص، وأن البشرية من الممكن أن تستغنى بها عن ذبيحة الصليب.. هذه الأعمال تعطل الإيمان.

لكن عندما قدم إبراهيم ابنه ذبيحة كان يؤمن أن الله قادر أن يقيمه من الأموات. إذن كان هذا عملاً من أعمال الإيمان؛ أى الأعمال التى هى وليدة الإيمان بذبيحة الصليب نفسها. وهذا يؤكّد صدق إيمانه الذى بسببه حسب له إيمانه برّاً "قَامَنَّ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا". هذه الأعمال تكمل الإيمان كما قال يعقوب الرسول.. فليس هناك تناقض بين الآيات.

كان إبراهيم مؤمناً أن الله سوف يقيم إسحاق مرة أخرى حياً.. حتى وإن كان سيذبحه ويحرقه ويصير رماداً على المذبح، لكنه سوف يرجع إسحاق حياً كقول معلمنا بولس الرسول: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ قَدَّمَ الَّذِي قَبْلَ الْمَوَاعِيدِ، وَحِيدَهُ. الَّذِي قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا..". (عب ١١: ١٧-١٩).

فالذى آمن بالقادر أن يقيم من الأموات إذ قد آمن بموت المسيح وقيامته. وإذ آمن بهذا حسب له برّاً، ولم يحسب له فقط بل لنا نحن أيضاً نحن الذين نؤمن بموت المسيح وقيامته.. مثلما قال بولس الرسول فى رسالة رومية "لأنّهُ مَاذَا

يَقُولُ الْكِتَابُ؟ فَأَمَّنْ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا" (رو ٤: ٣).  
 "لِذَلِكَ أَيْضًا حُسِبَ لَهُ بِرًّا. وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ  
 حُسِبَ لَهُ. بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا الَّذِينَ  
 نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ  
 خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو ٤: ٢٢-٢٥).

لقد نزل إبراهيم من جبل المُرِّيَّا، نزل شخصية جديدة  
 بمفهوم جديد، ولم يعد إسحاق بالنسبة له موضوع إنشغال  
 شخصى، ولكن أصبح إسحاق بالنسبة له هو رمز لمعنى  
 كبير جدًا. فهمه هناك على أحد جبال أرض المُرِّيَّا، بقرب  
 الموضع الذى قَرَّبَ فيه ابن الله نفسه ذبيحة عن خلاص  
 العالم.

ونحن أيضًا لابد أن تكون لنا مع السيد المسيح خبرات  
 خاصة، ويجب أن لا نقف عند حد معين بل تمتلئ حياتنا  
 من الإعلانات الإلهية على مثال إبراهيم.

### إبراهيم وفلسفة الطاعة

الطاعة هى طاعة الإيمان، وهى الإيمان بالطاعة، من  
 أجل ذلك "بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى

الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيراثاً، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ  
إِلَى أَيْنَ يَأْتِي" (عب ١١ : ٨). لأنه كان يؤمن أن وعد الله  
صديق، وأن دعوة الله هى بلا ندامة. حتى لو كانت الدعوة:  
اخرج من أرضك ومن عشيرتك، واترك كل شيء، وتعال إلى  
الأرض التى أريك إياها. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى.  
أمور فوق العقل!!

وهكذا أيضاً فى تقديم ابنه إسحاق ذبيحة كانت مسألة فوق  
العقل. بل نستطيع أن نقول إن كل شيء يختص بالطاعة  
هو دائماً فوق العقل، "لأننا بالإيمان نَسَلُكَ لَا بِالْعَيَانِ"  
(٢كو ٥ : ٧).

لكن الطاعة هى برج حصين وهى سياج يحمى الإنسان من  
كل العثرات. يحيا مطمئناً ساكناً فى ظل إله السماء، وبين  
جناحي القدير. ويشعر أنه فى حماية صلوات الآخرين عنه  
ورضاهم وبركة الطاعة التى تشبه بها السيد المسيح الذى إِذْ  
وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسانِ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ  
مَوْتِ الصَّلِيبِ" (فى ٢ : ٨).

إبراهيم وحياة التسليم

كان أبونا إبراهيم يسلك بالإيمان وكان الله يعمل فى حياته.. يقول الله: "يَا رَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" (أع ٩: ٦).

هناك إنسان يتعامل مع الله ويريد أن الله ينفذ له طلباته الخاصة سواء كانت صالحة أو خاطئة. أما من كان مثل أبينا إبراهيم الذى كان أداة طيعة فى يد الله، هذا الإنسان يصير كقيثارة يعزف عليها الروح القدس أجمل النغمات. يشترك معه الله بطريقة إلهية فتتحول حياته إلى سلسلة من المعجزات كل يوم، ويرى كيف يعمل الله ويستجيب.

سلام واطمئنان الإيمان

هكذا خرج إبراهيم، وكما يقول الكتاب: "بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيراثاً، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي" (عب ١١: ٨)...

فالإِنسان الذى يعيش حياة الإيمان يعيش مطمئناً بصورة عجيبة جداً، يشعر بسلام كامل وطمأنينة. يؤمن أن الله لن يسمح فى حياته بأى شيء، إلا إن كان هذا لخيره ولمصلحته، مادام ليس له هدف إلا إرضاء الله وتنفيذ وصاياه المقدسة.

الأمر الوحيد الذى يجعل الإنسان مبلبلاً فى أفكاره وغير مستقر ولا يشعر بطمأنينة، هو أن يكون غير مقتنع بينه وبين نفسه أن ينفذ مشيئة الله.

جرب أن تختبر تنفيذ مشيئة الله فى حياتك بأمانة كاملة مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف. فىكون الأمر الذى يقوله الله نافذاً دون نقاش، وسوف تشعر بالسلام والطمأنينة والفرح العجيب الذى يغمر حياتك.

ولكن ليس معنى هذا أن حياتك سوف تكون سهلة ومفروشة بالورود إن أنت نفذت الوصية؟ لكن وإن كانت هناك أتعاب وضيقات لكن نتيجة هذه الأتعاب ستكون فرحاً وتهليلاً ومسرة. كيف ذلك؟

عندما عبر إبراهيم من أرض حاران، وربما مر على دمشق لأن منها اتخذ رئيس عبده الذى هو أليعازر الدمشقى. ووصل إلى أرض كنعان ثم جاء إلى مكان شكيم، عند بلوطات ممرا، هذا الوادى كان خصباً وغنياً بأشجار التين والزيتون والكروم وأرض مملوءة خيراً.

لم يكن هناك شىء يعكّر صفو حياة إبراهيم فى الأرض التى دخل إليها، إلا أنه وجد الناس هناك يعبدون الأوثان فى الغابات، والأرض ممتلئة بالعبادة الوثنية كما يقول الكتاب "وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينِئذٍ فِي الْأَرْضِ" (تك ١٢ : ٦).

وإذ بدأ يشعر بالمخاوف لما وجد أناسًا وثنيين لا يعرفون الله، ومن الممكن أن يهلك فى وسطهم. فى هذا الوقت تدخل الله ليطمئنه، ولذلك "ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ" (تك ١٢ : ٧).

بدون إيمان لا يمكن إرضاءه

يقول الكتاب: "وَلَكِنْ بَدُونِ إِيمَانٍ لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ" (عب ١١ : ٦).

إن بداية الطريق والحياة مع الله أو الخروج وراء الله وتبعيته هى حياة التسليم بثقة الإيمان. فالدرس الأول الذى يتعلمه الإنسان هو الاتكال على الله وحياة التسليم، يعيش الإنسان بطريقة روحية، والله يتصرف فى حياته بطريقة إلهية.



بهذا الأسلوب يمكن للإنسان أن يبتعد عن أخطاء كثيرة جدًا، يبتعد عن خطايا الإدانة، كما يقول الكتاب عن السيد المسيح "الَّذِي إِذْ شَتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ" (ابط ٢: ٢٣). يبتعد عن الشتيمة وعن الصدام مع الآخرين. هذا معنى "يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ" أى أنه يكون واثقًا تمامًا أنه يوجد إله ضابط للكل، ويرى كل شيء، وبذلك يشعر الإنسان بأبوة الله المستمرة.

### النمو في معرفة الله

الإنسان في حياته الشخصية ينمو في فهم مقاصد الله، يفهم ماذا كانت حكمة الله في أعماله؛ ليس فقط في حياته الشخصية بل في كل ما يحدث حوله. وهكذا ينمو في معرفة الله... ليتنا نحن أيضًا ننمو في معرفة الله. ولا تكون معرفتنا عن الله دائمًا مفاهيم جامدة محددة، لا يمكن أن تتغير..

لابد أن نختبر الله كل يوم جديدًا في حياتنا، كما قال القديس أغسطينوس {آه.. تأخرت كثيرًا في حبك أيها الجمال الفائق في القدم، والدائم جديدًا إلى الأبد}.

بمعنى: أنت يا رب باستمرار جديد، ولا تكون قديمًا أبدًا مع أنك أنت هو قديم الأيام، لكنك ستظل جديدًا باستمرار، ومذاقك حلو وصورتك جميلة ومشرقة ومحبوبة فى نظر الخليقة التى تفهمك التى تعرفك التى تطيعك، والتى تفتح قلبها لكى تتسكب فيه أنهار محبتك.. هذا هو النداء الذى ترنمت به الخليقة فى سفر الرؤيا:

"وَهُمْ يُرْتَلُونَ تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ وَتَرْنِيمَةَ الْحَمَلِ قَائِلِينَ:  
عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقَدِيسِينَ" (رؤ ١٥: ٣)،  
"وَسَمِعْتُ آخَرَ مِنَ الْمَذْبَحِ قَائِلًا: نَعَمْ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! حَقٌّ وَعَادِلَةٌ هِيَ أَحْكَامُكَ" (رؤ ١٦: ٧).

كان إبراهيم كارزًا عملاقًا من الواضح أن إبراهيم فى كل موضع كان يذهب إليه كان يترك أثرًا. لقد أثر إبراهيم فى حياة الخدام الذين له، وهذا نجده واضحًا فى قصة أليعازر الدمشقى خادم إبراهيم الذى كان يصلى لله وينذر له ويضع علامات، ويتعامل مع الله على مثال ما تعلمه من سيده إبراهيم رغم أنه ليس من نسل

إبراهيم (انظر تك ٢٤). وكل العبيد وكل التابعين له قادهم إبراهيم إلى حياة الإيمان، ليس فقط نسله إنما حتى الجو المحيط به كله استطاع أن يؤثر فيهم.

لم يكن فقط إنسانًا عابدًا لله، ولكنه كان يشيع تأثيرًا في المحيطين به وفي كل الأشخاص الذين له. من أجل ذلك عندما قال له الرب أن يختن وأعطاه وعد الختان قال له ليس فقط أنت وأولادك لكن كل الذين في بيتك والغريب والكل.

بل استطاع إبراهيم أيضًا أن يؤثر في أشخاص كثيرين خارج إطار الحياة والجماعة المحيطة به، فقد ترك أثرًا بالنسبة لفرعون ملك مصر (انظر تك ١٢ : ١٠ - ٢٠)، كذلك ترك أثرًا بالنسبة لأبيمالك ملك جرار (انظر تك ٢٠).

في كل موقع كانت يد الله تعمل معه، فكان إبراهيم كارزًا عملاقًا يركز بالله إله إبراهيم؛ يهوه خالق السماء والأرض، يركز بعبادته كما كرز من قبل في مدة وجوده في ما بين النهرين في أور الكلدانيين، وكما كرز في أرض حاران هكذا استمر يركز إلى نهاية حياته.

لم يكن مجرد إنساناً اختاره الرب فقط، لكن كان يدعو باسم الرب كما كتب عنه "ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيْلِ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ إِيْلِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ" (تك ١٢: ٨)، كما قيل قبلاً عن أنوش الذي حينما جاء "حِينَئِذٍ ابْتَدَى أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ" (تك ٤: ٢٦). وكما كتب عن نوح "حَفِظَ نُوحًا ثَامِنًا كَارِزًا لِلْبَرِّ إِذْ جَلَبَ طُوفَانًا عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ (٢بط ٢: ٥). فكان إبراهيم أيضاً كارزاً للبر، لم يكن رجل الإيمان فقط ولكنه رجل الكرازة والمناداة باسم الرب.

أرض جديدة وسماء جديدة

لقد استخدم الله إبراهيم كوسيلة إيضاح، فبالرغم من أنه عاش في زمن كانت فيه الأمور الروحية ليست واضحة كما في العهد الجديد، لكنه عاش حياة غريبة فعلاً، وخرج من وطن إلى وطن آخر أخذ به وعداً، ولكنه لم ينله بل نظره من بعيد وصدق الوعد. وانتقلت آماله من أرض موعود بها هنا في هذا الزمان الحاضر إلى أرض جديدة وسماء جديدة يسكن فيها البر.. من أجل ذلك حتى آماله أن يكون له نسل،

وآماله أن يكون له أسرة، تحولت إلى أمل فى إتمام الخلاص فى مجيء السيد المسيح.

لقد ارتقت عاطفة الأبوة عند إبراهيم، من عاطفة أب جسدى له ابن ونسل؛ إلى عاطفة شخص يرى فى هذا النسل رجاء البشرية فى الخلاص الأبدى. هكذا قال عنه الكتاب: "وَلَكِنِ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيِّ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِي بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عب ١١ : ١٦).

الحديث عن إبراهيم حديث أمره يطول، فهو شخصية غير عادية؛ هو أبو المؤمنين جميعاً سواء كانوا يهوداً من نسله أو من الأمم الذين ليسوا من نسله. لكن هو دُعى أب الإيمان وأب لجمهور من الأمم، وحياته مثلاً يُحتذى به فى الإيمان. لقد رأى المواعيد من بعيد، ويوم أن قدم ابنه ذبيحة؛ رأى الصليب والقيامة، ورأى الفداء بعين الإيمان وبروح النبوة. وإن كان الفداء لم يتحقق بعد لكنه آمن به ورقد على الرجاء.. لذلك يقول الكتاب "وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا" (عب ١١ : ١٣).

اذكر باستمرار  
إنك غريب على الأرض  
وإنك راجع إلى وطنك السماوى  
(قداسة البابا شنودة الثالث)

صدر من هذه السلسلة  
(شخصيات من العهد القديم)

- ١ - بين آدم الأول وآدم الثانى
- ٢ - هابيل وقاين
- ٣ - إيليا وألشع
- ٤ - بين أبيجايل الكرملية وداود الملك
- ٥ - داود النبى والملك
- ٦ - داود الملك التائب
- ٧ - راعوث الموابية
- ٨ - إبراهيم أب الآباء